
الله
رحلة إلى

الطبعة الرابعة

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

دار حامل المسك للنشر والتوزيع

الكويت – الشامية قطعة ٨ – شارع ٨٨ منزل ٥

هاتف: ٢٤٩٢٦٣٢٠ – النقال: ٦٦٨٩٠٠٧٨ –

فاكس: ٢٤٩٢٦٣٢٢

ص.ب ١٢٣٢٦ الشامية – الرمز البريدي ٧١٦٥٣

Website:www.hamel-almisk.com

E-mail.:info@ hamel-almisk.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.

قيل لبعض الأعراب : عن أي شيء أسلمت ؟

قال : ماأمر الإسلام بشيءٍ فقال العقل : ليته نهى عنه ، ولانهى عن شيءٍ فقال العقل :ليته حرمه ،

ولا حرم شيئاً فقال العقل : ليته أباحه.

فهكذا الشرع الحنيف ، في كل حكم من أحكتمه تجد النكت اللطيفة ، والأسرار البديعة والإشادات البليغة.

من ذلك أعمال الحج قد جعل الله فيها كنوزاً نفيسة ، ودرراً ثمينة لمن توسمها وأنعم النظر فيها.

فجمعت منها جملة أحببت أن يطلع عليها المتوسمون


رحلة إلى الله

رحلة تعبدٍّ ورقٍّ

رحلة الحج هي رحلة الحب إلى الله تعالى وهي رحلة دنيوية يقوم بها العبد ببدنه وافداً على الله تعالى. قال النبي ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»

رواه البزار وحسنه الالباني.

فهم في وفادة الله تعالى وضيافته وحفظه. قال النبي ﷺ: «ثلاثة في ضمان الله عز وجل، رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله، ورجل خرج غازياً في سبيل الله تعالى، ورجل خرج حاجاً» رواه أبو نعيم وصححه الالباني. وهي نوع من أنواع الجهاد لذا قال النبي ﷺ:«لكن أفضل الجهاد حج مبرور» رواه البخاري.
فهي رحلة مصغرة للرحلة الكبرى الأخروية.

كيف؟

الإحرام

يقدم الحاج وقد تجرد من متعلقات الدنيا من ثياب ومال وجاه. وإنما يلبس الثوبين الأبيضين (الإحرام) اللذين يدلان على نقاوة

القلب وبياضه وصفاء الظاهر متهيئاً للقاء الله تعالى.

الإهلال

ثم يهل بالحج أي يرفع صوته معلناً للخلق مستبشراً وقد غمره الفرح والسرور أنه مقبل لزيارة من ملك قلبه ورِقَّهُ لزيارة بيت الله تعالى مستجيباً لندائه ملبياً لدعوته ونداء إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ يلهج لسانه بذكره تعالى.

وما طلع النجم الذي يهتدي به
ولا الصبح إلا هيَّجا ذِكــــره ليا
أحب من الأسماء ما وافق اسمه
أو ما شابهه أو كان منه مدانياً

وحبة قلبه منصبة نحوه، وفؤاده هاوٍ إليه لذا يجأر بقوله (لبيك اللهم لبيك) أي لب قلبي وسويداءه قد تعلقت بك مرة بعد أخرى. حينئذ تستجيب الكائنات لإهلاله الصادق فيلبي كل ما عن يمينه وشماله قال ﷺ: «ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا» رواه النسائي وحسنه السيوطي.

عرفة

يحضر عرفة التي هي أول أركان الحج العملية، وهي منطقة الحل ليست من الحرم. أرض قاحلة جرداء، لا زينة فيها ولا بناء، خارجاً إلى الله تعالى، يطلب الأنس به:

وأخرج من بين البيوت لعلني   أحدث عنك النفس يا رب خالياً

ثم يحتشد مع الخلق، مع الجمع الهائل، تاركاً الملذات والشهوات لأجله، رغبة فيه، متواضعاً خاضعاً لجلاله مستكيناً لعزته متجرداً من كل عظمة، وقد أظهر رقه وعبوديته وأذعن انقياده، يُعرّف نفسه إلى الله تعالى قالﷺ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» رواه الترمذي. ومن هنا سميت عرفة، فكلهم متساوون في المظهر، يجأرون إلى الله تعالى – كأنهم في أرض المحشر – أرض جرداء – مكبرين مسبحين مبتهلين، كلهم يطلبون ويتقربون ويستغيثون على اختلاف ألسنتهم وأصواتهم وأجناسهم.

ما أنت إلا فرد واحد بين هذه الجموع، هل يقبلك الله تعالى وينظر إليك نظر الرحمة؟! فاجمع كل همومك وأحزانك واعرضها على الله تعالى مشتكياً إليه بدلاً من الخلق ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فالاستجابة أسرع إليك من ارتداد طرفك. قال النبي ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم» رواه البزار.

لا يدخلون أرض الحرم (مزدلفة) إلا بعد التمرغ لله تعالى طالبين الطهر ليؤذن لهم دخول مزدلفة فيقول الله تعالى: «انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً» رواه أحمد. ويقترب منهم قد صفح عنهم وعفا «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من يوم عرفة. وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء» رواه مسلم.

مزدلفة

ثم ينطلقون إلى المزدلفة وهي أول الحرم – سمي حرماً لعظم حرمته، لذا لا يقطع شجره ولا يصاد صيده، لأنه في حمى الله، لذا يسمى حمى الملك. يزدلفون إلى الله تعالى ويتقربون إليه ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ

ﭐلۡمَشۡـعَرِ ﭐلۡحَرَامِ﴾. فيلقون بأجسادهم المجردة من الثياب على الأرض العفراء أرض الحرم المباركة. قد مس التراب جلودهم، مهادهم الأرض ولحافهم السماء، فيبيتون محبين لله معظمين متضرعين إليه سبحانه، معلنين لله تعالى أنهم قد صفت سرائرهم وعلانيتهم له سبحانه، لا حظ للشهوات الدنيوية في قلوبهم ولا لتلك الملهيات التي تلهيهم عنه سبحانه، فتسرح أرواحهم ليلاً في حمى مليكها تستنشق عبير الأنس من نسيم رياض القدس.

تذكـرت أيـام اللقـاء بمشعـر
بجمع وحولـي صحبـةٌ ومخيـــمُ
وكان لقاءً يُسعد القلبَ أمـرُه
بذكرٍ ونسك ليت من غاب يعـــلم
حبانا الولي رب كريم وخيره
يعـم البــرايـا للجميــع مقســـم
وإن زان قوماً لبسهم وكساؤهُم
فزينة صحب الوجه بالنور مفعم
إذا الْتذّ قوم في طعام ومشـرب
فليس ســويــاً مــا نــذوق ويطـم

فطعم التقى ما ذاقه قط جاحد

ليعلم أنا بالأطايب ننعم

لله تلك الأمسيات التي بها

دعاء وذكر صاغه القلب والفم

ولله كم من ساجد ومسبح

وآخر يرجوا الله والناس نوم

(خالد الخراز)

الجمرات

فيغدون قبل الشروق إلى الجمرة حيث ينتزعون حظوظ الشيطان ودواعي الشر من قلوبهم فيرمونها ويقذفون بها على شكل حصيات سبع وهو العدد الذي تستخدمه العرب للدلالة على الكمال والكثرة والشدة بأن حظ الشيطان استخرج منهم ،ويكبرون الله تعالى مع كل حصية معلنين أن الله في قلوبهم أغلى وأكبر من كل شيء ومن كل حظ. فيملأ الله تعالى قلوبهم التي صفت من الشوائب بنوره العظيم ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ويجازيه بالنور التام يوم القيامة، قال ﷺ: «إذا رميت الجمار كان لك نوراً يوم القيامة». رواه البزار وحسنه الالباني.

الهدى

ثم ينحر الهدي الذي هو فداء عن نفسه فكأنما ينحر قلبه لله تعالى يهديه إليه (الهدى) تقرباً إليه، ابتغاء مرضاته. فلو كان نحر القلب قربة لنحرته حباً لك وتعبداً كحال إبراهيم الخليل ﷺ مع إسماعيل عليه السلام ولكن الله تعالى استبدل الذبح به في منى. سميت منى لأن الله تعالى أحب للعبد إراقة دمه لأجله وقَدَّره له. لذا سميت الوفاة منية.

الحلق

ثم يحلق رأسه تذللاً له سبحانه، إذ كانت العرب تحلق ناصية الرجل إذا قصدت إذلاله.

الكعبة

ثم يغتسل ويتنظف ويتطيب بأفضل الطيب ويتجمل بأجمل لباس لزيارة الله تعالى إلى بيته، فالبيت هو رمز الخلة والمودة والشوق إلى الله تعالى. فأنت العابد المحب، والمحب إذا ما رأى المحبوب فإن أول ما يبدأه به المصافحة الحارة والتقبيل

وربما يعانقه وهكذا يفعل النبي ﷺ، إذ أول ما يبدأ به هو استلام الحجر وتقبيله حباً وشوقاً لذا قال ابن عباس رضي الله عنه: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه فكأنما صافح الله تعالى» فيبدأ به حيث نزل من الجنة «نزل الحجر الأسود من الجنة فكان أشد بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك».

رواه أحمد

وهي أول بيت للعبادة بناه إبراهيم عليه السلام في الأرض لذا سمي بالبيت العتيق، فكوفئ به في السماء أن استند إلى البيت المعمور الذي هو قبلة الملائكة في السماء السابعة، قال النبي ﷺ في حديث المعراج بعد مجاوزته السماء السابعة: «ثم رفع لي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه» متفق عليه، أي يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم. قال ﷺ في حديثه: «فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام، وإذا هو مستند (مسند ظهره) إلى البيت المعمور» رواه مسلم.

فوجود هذا البيت يدل على بقاء الإيمان في الأرض، وما دامت الكعبة موجودة فالدين قائم والدنيا قائمة ومصالح الناس مستمرة، فتحيا بذلك القلوب، فحياة القلوب ببقائها قائمة ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾.

أما إذا هدمها ذو السويقتين من الحبشة فهنالك تقوم الساعة، قالﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت». رواه أبو يعلى وصححه الالباني.

وقد يعانق البيت كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم كانوا يلتزمون البيت ما بين الحجرالأسود وباب الكعبة من شدة شوقهم إلى الله تعالى في نهاية طوافهم.

ثم يبدأ بالطواف حول حبه وغايته كما يحوم طالب التجارة حول صفقة ثمينة ولا يفرط فيها ويخطط الليل والنهار للوصول إليها ويفوز بها، وكذلك طالب الزواج من امرأة أحبها كيف يحول حول حبها ولله المثل الأعلى سبحانه إذ تطوف الملائكة حول العرش رغباً ورهباً وحباً وتعظيماً وإجلالاً ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾(الزمر)، حيث يطوف الحاج حول غايته وحبه ورمز المحبة لله تعالى وهو البيت الحرام البيت العتيق.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يعشقه الفتى

وحنينــه أبـــداً لأول منـــزل

جاعلاً الجانب الأيسر الذي يميل موضع قلبه إليه هو أقرب المواضع إلى الكعبة، فيطوف سبعاً وهذا العدد يمثل الكثرة الكاثرة والكمال في طوافه حول حبه. لعل باب القبول والقربى يفتح له، ويفوز بالنظر إلى الله تعالى يوم القيامة. فهو طواف الجسد والقلب والروح.

الدعاء في طوافه

فاغتنم زيارتك لهذا البيت بالإكثار من الدعاء والسؤال قال ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله. دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم» رواه البزار، واهتبل طوافك بالسؤال للفوز بالنظر إلى وجهه الكريم وتضرع إليه وأظهر افتقارك إلى جلاله بسؤالك حتى اللقمة وبث إليه همومك وأحزانك ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

ركعتا الطواف

ثم بعد إظهاره تعلق قلبه بغايته وحبه وهو ربه تعالى يذهب يكلم الله تعالى ويخاطبه ويفضي إليه مما يجول في صدره من حب وتعلق وذلك بالصلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام.

زمزم

ثم لا يتوقف حتى ينطلق إلى زمزم فيملأ جوفه بماء هذا البيت إظهاراً لشغفه بكل ما يعلقه بمحبوبه، فيملأ قلبه وعقله وجوفه بكل ما يذكره بالمحبوب.

السعي

ثم ينطلق - بعد تقبيل آخر للحجر الأسود ويمين الله تعالى في الأرض- ينطلق إلى (الصفاء) يقف عليه معلناً لربه أنه سيصفي قلبه من كل شائبة علقت بقلبه، ليبقى قلبه خالصاً لربه ويتضرع هناك مكبراً معظماً لإلهه (الله أكبر) ثم يوحد الله تعالى وأنه لا معبود إلا هو ولا محبوب إلا هو وأحق الذوات بالوله هو سبحانه (لا إله إلا الله) أنجزوعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ثم ينطلق إلى (المروة) فيعلوه معلناً أنه سيطلب المروءة

والثبات على ذلك (فالمروة من المروءة والثبات)، هكذا سعيه بين الصفاء والمروءة سبعاً إظهاراً للذل الكامل للحصول على هذه الغاية إلى أن يلاقي ربه تعالى.

ويسير ذاكراً الله تعالى بقلبه قبل لسانه، ويلهج لسانه بذكره سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

ثم يرجع من هذه الرحلة الدنيوية إلى الله تعالى وقد تخلص من كل الشوائب القلبية وتنقى من كل الآثام، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾.

وهذه الرحلة الدنيوية إلى الله تعالى بجسده تلخص الرحلة الأخروية يوم الحشر لذا انتهت آيات الحج بالتذكير بيوم الحشر يوم لقاء الله تعالى مع كل الخلائق ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ البقرة.

ولعله يتضح ذلك من سيرة النبيﷺ حيث حج النبيﷺ حجة الوداع في نهاية حياته الشريفة في السنة العاشرة من الهجرة وقال فيها: «فإني لاأدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه...»، فرحل إلى الله تعالى رحلة البدن، رحلة الحب الدنيوية قبل

رحلة الروح الأخروية، ثم توفي ﷺ في السنة الحادية عشرة.

لذا فالحج أعظم من الصدقة وعتق الرقبة. سئل طاووس عن الحج والصدقة فقال: فأين الحل والرحيل؟ والسهر والنصب؟ والطواف بالبيت والصلاة عنده؟ والوقوف بعرفة وجمعٍ (مزدلفة) والجمار؟.

وسأل رجل أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: إني كنت أحج وقد كبرت وضعفت فهل من شيء يعدل الحج؟ فقال أبو موسى رضي الله عنه: هل تستطيع أن تعتق سبعين رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل؟ أما الحل والرحيل فلا أجد له عدلاً (لا أجد له مثلاً). مما يدل عليه ما رواه البخاري أن النبي ﷺ سئل: «أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، وقيل: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم أي قال: حج مبرور».

فهذه رحلة الحب، رحلة النعيم، رحلة التعبد إلى الله تعالى، رحلة الأشواق، من فاز بها فقد فاز في الدارين الدنيا والآخرة، والمحروم من حرمها.

ذكت نار شوق في فؤادي فأصبحت

لها وهج مستضرم في فؤاديـــــا

أعُـدُّ الليـالـــي ليلـــةً بعــد ليلـــــــة

وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا

إذا نحــن أدلجنــا وأنــت أمــامنــــــــا

كفى لمطايـانـا بذكــراك هاديـــا

فـأشهـد عنـد الله أنـــي أحــبــــــــــه

هذا له عندي فما عنـده ليـــا؟!

المراجع

القران الكريم

إحياء علوم الدين

إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة

استنشاق نسيم الأنس للحافظ ابن رجب الحنبلي

حلية الأولياء لابي نعيم

الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين

سنن النسائي

سنن الترمذي

سلسلة الأحاديث الصحيحة - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني

شعب الإيمان للبيهقي

صحيح البخاري

صحيح مسلم

العلل لابن أبي حاتم

المستدرك على الصحيحين للحاكم

مصنف عبد الرزاق الصنعاني

مسند الإمام أحمد - مسند البزار

فيض القدير شرح الجامع الصغير

الفهــــــــــرس